أنا وهي والليل

« الى كل فنان يأكله القلق »

— ١ —

يا طيب نقلتها اذ أقبلتْ عجلى
تُسائلُ الليلَ عن قلبي الذي ضلاّ
قلبي الذي لطختْ بالنار حبتهُ
دينونةٌ غسلتْ عن جُدره الثقلا
وأوْصدَتْ بابه دوني ، فلا خصلتْ
ضلعي الشموسَ ، ولا استهوَتْ ضُحى غفْلا
إلى متى يستحمُّ الناسُ في عَرَقي
إلى متى .. ودمي في قِدْرهمْ يُغْلى ؟
لو يفرحون .. لما أزروا بأغنيتي ،
ولا لوت حول عنقي كفُّهم حبلا
فقُلْ لسارية في الليل هاتفة :
عُرْسُ القرابين ، يا أختاه قد ولّى
لم يبقَ غيرُ قطيع البوم في أثري ،
وبعضُ أسطورة ممسوخة تُتلى
فان مَرَرت بحقلٍ أسودٍ كغدي
ونوّحتْ في قفيري نحلةٌ ثكلى
وكان ثمةَ أوراقٌ مُهرّأةٌ
وجُزتِ نهزاً بلونِ الموتِ مُنسلاّ
تُلفين خربة قلبي عند رملته
تنهارُ لا حسٌّ ، لا معنىً ولا شكلا
وحدي ! كأوفيليا (١) البلها يُلاحقُني
يأسي ، ووحدي أحوشُ الموتَ والمحلا

— ٢ —

ماذا تريدُ ؟ وعمري كلّه بددٌ ،
وقطعةٌ من قُنوطي تفرش السُّبُلا
ماذا تريد ؟ وقد أطفأتُ محرقتي
وعرّشت في فراغي دودةٌ سعلى
وبي طمأنينةٌ ، كالقبر تحجبي ،
عن عالمٍ أيبَست أحزانه العقلا

— ٣ —

وشمتها والخرافاتِ التي غزَلتْ ،
وألف أحدوثة لم تحكها قبلا
عريانةً لم تحزْ ثوباً سوى خجلي
ذاكَ الوقاح ، فيا جفني انكسرْ ذلاّ
وأنت يا ليل أظلمْ كلَّ زاويةٍ
وأبعدي يا ظُنوني عن فمي الوحلا
ويا غصونُ اقلقي من حولها جزعاً ،
وأيقظي يا صَبا من غفوهِ الحقلا
وحدِّثيه ، وقولي من هنا عبرَتْ
ألا تُرى مفرقَ الغيمات مُخضلاّ
وحدِّثيه ، وخلّي كل بُرعمة
تُصلي بحمّى هواها مثلما أصلّى
وحدِّثي ، حدثي ، حتى إذا يبستْ
منهُ العروقُ ، وجاءت تنشدُ الوصْلا
قومي انحريه على أظفارها . وإذا
ما لاح حبي بعينيها من القتلى
فلا تواريه ، بل فرّي بجثته ،
وذرذري شفتيه أينما حلاّ
وغلغلي دفئهُ في كلِ خابيةٍ
وكلِ دالية في كرمنا كسلى
وغلغليه ، فبي جوعٌ الى جسد
يمتصُّ جُرحي ولا يبقي لهُ مصلا
الى احتراقٍ بشمسٍ لم أمدَّ لها
وهمَ الرمادِ ، ولم أحطمْ لها ظلاّ
الى غيابٍ بحرفٍ لا يعي ، ولد
يُسمِّرُ الوردَ في جفنيه والنحلا

— ٤ —

قالتْ : طريقي بعيدٌ ، والدجى ضبُعٌ
عجفاءُ ، تأكلني من حقدها ، أكلا
قُلتُ انبذيه ،
فما عادتْ تُطيق يدي ،
حملَ الفراشِ سدى ،
حملَ السدى ، حملَ
سبعٍ من البقعِ الحمراء ، مُزهرةٍ (٢)
تُذري الطيوبَ وتُسقَى النصْلَ والخلاّ

— ٥ —

لكن ثغرك عذبٌ ، والدجى حجرٌ
فهاك ثغري وإن لم تُطفيء غلاّ

هنري . صعب الخوري

١) أقصد بها أوفيليا شكسبير في هاملت ، لا أوفيليا رامبو

٢) يؤثر أن السيد المسيح جرح سبعة جراحات .